

يا أيها الإخوة الكرام،

يُذَكِّرُنَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَأَنَّ لِبَاسَنَا لُطْفٌ إِلَهِيٌّ فَيَقُولُ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾¹ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ¹

وَحِينَمَا نُزِّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ عَرَابًا. فَخَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَلَاءِ وَخَاطَبَ مَعَهُمْ كَافَّةَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنَّ اللَّبَاسَ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا فَوَصَفَ اللَّبَاسَ بِأَنَّهُ مِنْ آيَاتِهِ - يَعْنِي الْعَلَامَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

أيها المؤمنون الفضلاء،

إِنَّ اللَّبَاسَ لَنَا حَاجَةٌ وَنِعْمَةٌ. وَهُوَ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْخَلَائِقِ. تَأَذَّنْ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾²

فَكَمَا نَحْتَاجُ إِلَى اللَّبَاسِ لِتَسْتِرِّ الْعَوْرَةَ الَّذِي هُوَ مِنْ شُرُوطِ بَعْضِ الْعِبَادَاتِ فَكَذَلِكَ نَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِفَوَائِدَ دُنْيَوِيَّةٍ كَالِإِحْتِفَاطِ مِنَ الْبَرْدِ وَالْحَرَارَةِ. فَلِبَاسُنَا فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبٌ لِشُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا.

إخوتي الأعزاء،

إِنَّ الْأَفْكَارَ وَالْأَرَءَاءَ حَوْلَ مَسْأَلَةِ اللَّبَاسِ فِي عَصْرِنَا هَذَا غَرِيبَةٌ فِي الْفَوَاضِي. هَذَا مَعَ أَنَّ فِي أَيْدِينَا ضَوَابِطَ وَحُدُودًا وَأَشْخَاصًا قُدُورَاتٍ لِتَطْبِيقِهَا. رَغْمَ ذَلِكَ نَرَى أَنْفُسَنَا كَثِيرًا مَا نَتَأَقَلَمُ بِأُمُورٍ عَجِيبَةٍ لِيَقْبَلَنَا الْمُجْتَمَعُ فَيَلْتَبِسُ عَلَيْنَا الْأَمْرَ. وَلَكِنْ بَلْ يَنْبَغِي لَنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ نَلْتَزِمَ بِالضُّوَابِطِ الَّتِي حَدَدَهَا لَنَا الْوَحْيُ. فَلَا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لِبَاسُهُ مُوَافِقًا لِمَفْهُومِ التَّسْتِرِّ وَالْحَيَاءِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَظِيفًا طَاهِرًا. ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ اجْتِنَابِ الْخِيَلَاءِ وَالْإِسْرَافِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ يُعْتَبَرُ الْعُرْفُ الْمَحَلِّيُّ مَا وَافَقَ الشَّرِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ.

أيها الجماعة الكريمة،

قَدْ ذَكَّرْنَا أَنَّ لِبَاسَنَا نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ. مَعَ ذَلِكَ قَدْ تَتَحَوَّلُ هَذِهِ النِّعْمَةُ إِلَى وَبَالٍ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ مُخَالَفًا لِحِكْمَتِهَا.

عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ. فَذَكَرَ حِكْمَةَ هَذَا الْحُكْمِ مَقْرُونَةً بِالْأَمْرِ فَقَالَ:

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾³ يَعْنِي: فَتُعْرَفْ عِفَّتُهُنَّ

لِتَسْتَرِهِنَّ³. وَحَدَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ فَوَصَفَ صِنْفًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ بِأَنَّهُمْ: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ.

رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ. لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ

رِيحَهَا»⁴ وَأَنْذَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ مَعًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا

بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ

عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا ط إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ

حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ط إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾⁵

أيها المسلمون الكرام،

إِنَّ التَّسْتِرَّ شَخْصِيَّةُ الْمُسْلِمِ. فَمِرَاعَاةُ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَرْتَدِيَ مُوَافِقًا لِعِزَّةِ الْإِنْسَانِ وَأَنْ نُنَبِّهَ بِرَفْقٍ مَنْ حَوْلَنَا عَلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ.

فَإِنَّ أَهَمِّيَّةَ التَّسْتِرِّ وَاضِحٌ كُلُّ الْوَضُوحِ فِي عَصْرِنَا الَّذِي انْتَشَرَ فِيهِ

الْخَلَاعَةُ وَسُوءُ الْأَخْلَاقِ وَفَقْدُ الْحَيَاءِ. فَإِنَّ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَوَقَارَهُمْ وَعِزَّتَهُمْ فِي حَاجَةِ لِذَلِكَ. فَلَا يُنْسُ أَبَدًا أَنَّ

التَّسْتِرَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي نَتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى الْمَوْلَى جَلَّ وَعَزَّ.

وَفَقَّنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي رِعَايَةِ التَّسْتِرِّ بِالشُّكْلِ الَّذِي يَطْلُبُهُ مِنَّا وَيَرْضَاهُ.

آمين



³ انظر سورة الأحزاب: ٥٩: وانظر لتفسير الآية أبو حيان: البحر المحيط

⁴ صحيح مسلم، كتاب اللباس، ٣٤، رقم الحديث (٢١٢٨)

⁵ سورة الأعراف: ٢٧

¹ سورة الأعراف: ٢٦؛ وانظر لتفسير هذه الآية: البغوي: معالم التنزيل،

والنسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل

² سورة الأعراف: ٣١